

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

SOCIÉTÉ EGYPTIENNE D'ÉTUDES HISTORIQUES

المجلة التاريخية المصرية

تصدرها الجمعية مرتين في السنة ويشرف على تحريرها
محمد شفيق غربال نائب رئيس الجمعية ووكيل وزارة المعارف سابقاً
ومحمد مصطفى زيادة عضو مجلس إدارة الجمعية وأستاذ
تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بجامعة القاهرة
والقائم مقام عبد الرحمن زكي عضو مجلس الإدارة

مايو
سنة ١٩٥١

المجلد الرابع
العدد الأول

تطلب المجلة من الجمعية والمكتبات الرئيسية
وثنى العدد ٣٥٠ ملياً

جزوب
معين التاريخ
لأهل التاريخ

محتويات العدد

بحوث

صفحة

- ١ - نشأة المسألة المصرية في السياسة الرومانية ٨٠ - ٥١ ق. م محمد عواد حسين ١
- ٢ - المسلمون في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى الحروب الصليبية حسين مؤنس ٤٥

دراسات متنوعة ومحاضرات

- ٣ - الواحات المصرية في التاريخ أحمد فخري ١٧٧
- ٤ - نهاية السلاطين المماليك في مصر محمد مصطفى زيادة ١٩٧
- ٥ - السودان والجيش محمد محمود الصياد ٢٢٩

نقد الكتب

- ٦ - فضائل الشام ودمشق تحقيق صلاح الدين المنجد - نقد محمد مصطفى زيادة ٢٤٧
- ٧ - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب نشره جمال الدين الشيال - نقد محمد مصطفى زيادة ٢٥٢
- ٨ - القوة البحرية والتجارة في البحر المتوسط فيما بين عامي ١١٠٠,٥٠٠ م لارشيبالد لويس - نقد القائمقام عبد الرحمن زكي ٢٥٨
- ٩ - أطلس التاريخ الإسلامي هاري . و . هازارد - نقد القائمقام عبد الرحمن زكي ٢٦١
- ١٠ - المسألة السودانية والوثائق البريطانية للأستاذ عبد المنعم عمر - نقد القائمقام عبد الرحمن زكي ٢٦٣
- ١١ - مقياس النيل في جزيرة الروضة كامل عثمان غالب - نقد القائمقام عبد الرحمن زكي ٢٦٤

الرابع فضائل الشام ودمشق

تحقيق

صلاح الدين المنجد

(مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٩٥٢ م)

إحياء الكتب العربية ركن من أركان النهضة القومية في مختلف بلاد الشرق الأوسط ، سواء أكانت هذه الكتب ذوات عناوين وطنية واضحة ، مثل تاريخ دمشق لابن عساكر ، وفضائل بغداد للسرخسي ، والنجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة لأبي المحاسن ، أو ذوات عناوين مسجوعة رنانة ، مثل البدر المنظوم فيما ورد في مصر من موجود ومعدوم للجوهري ، وذيل تجارب الأمم وتعاقب الهمم لابن مسكويه ، والطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد للأدقوي . وهناك نوع ثالث من الكتب القديمة ، وهي من ذوات الصفة الدينية السياسية ، مثل فضائل الأنصار لابن وهب ، وفضائل محمد بن الحنفية للدعائلي . وبعض هذه الكتب مطبوع ، وبعضها الآخر مخطوط ، ومنها ما ليس من هذا أو ذاك ، بل غير معروف عنه شيئاً إلا عنوانه ، أو مقتطوعة من متنه ، نقلها ناقل في تأليفه ، بإشارة أو بغير إشارة إلى مؤلفها وصاحبها الأول .

وأقول إن هذه الكتب التي ينعتها بعض الناعتين بصفات جائزة ، ليست صفراء باهتة المعرفة ، كما يريدون أن يقولوا ، بل تشف محتوياتها عن ألوان أخرى من معرفة العصور الوسطى وأهلها المدرسين (الإسكولائيين) ، وهي معرفة الذين نحن أبناءهم رغم النسيان ، أو الجهل . ولذا فهذه الكتب جديرة بالنشر والفحص والاستقصاء ، احتراماً لما قدّمت من سبب ، ولما في نشرها من عرفان بالجميل ، ولما في هذه الكتب نفسها من رطب ويابس ، وما بينهما من طعوم المعرفة ، فضلاً عن أصول هي أصولنا ، ولا سبيل إلى إنكارها أو التنكر لها

أو جحودها، أو تصغير شأنها في تكويننا . ذلك أننا نريد أن نلّم بتلك الأصول الإمامة تامة مرة واحدة في غير اختصار ، أو مهمل أو استصغار ، لنفهم منها صياغتنا الحاضرة ، ولنعديل من هذه الصياغة تعديلا توجهه مقتضيات الحياة الحديثة القائمة على حقوق الإنسان ، من حيث الفردية العاقلة والديموقراطية المسئولة .

وربما يقول بعض القائلين إن مقتضيات الحياة الحديثة — والمستقلة — تتطلب الاستمداد الثقافي من الغرب الأوربي والأمريكي فحسب ، لا من الكتب القديمة وأشباهاها مما طال عليه سالف الأمد . وهنا موضع الخلاف بيني وبين أصحاب هذا الرأي ، في غير عنت أو تزمت من ناحيتي ، إذ الطريق السوي عند العقلين هو النصفة الذي لا يهبط ولا يهوى إلى هذا أو ذلك ، بل يأخذ من كليهما أخذ الممغن ^{الخلص} . بعبارة أخرى ينبغي على الشرق الأوسط أن يأخذ من الشرق والغرب معا ، على قاعدة الاختيار والاقتباس من المنبعين . ومن البديهي أن الاقتباس من المنبع الشرقي معناه إحياء الكتب القديمة في مختلف العلوم والفنون ، ^{بناشر السلع} . ومن البديهي كذلك أن التمتع بالاستمداد من الغرب يجعل البناء الثقافي بالشرق على أساس غير مطمئن (maladjustment) ، وهو أخطر أنواع البناء عند أرباب علم النفس التربوي ، وأرباب علم النفس الاجتماعي كذلك .

ومن النوع الأول من أنواع الكتب التي أشرت إليها في هذه الفاتحة الطويلة كتاب فضائل الشام ودمشق للربيعي الذي سماه معاصروه أبو الهول ، لسبب لم يتضح لي بعد . والربيعي مؤرخ محدث ، وهو سابق على ابن عساكر مؤلف تاريخ دمشق ، بما يزيد على قرن وربع قرن من الزمان ، وهو كذلك مرجع من مراجع ابن عساكر في تاريخه الكبير . والمتتبع لأخبار كتاب الربيعي يجدها كلها في تاريخ دمشق ، على قول الناشر في مقدمته . (ص ١٤) . والناشر مشكور لحرصه على تسجيل براهين هذه العبارة في الملحق الأول من بحثه التي ذيل بها هذا الكتاب ، وعنوان هذا الملحق الأول ما في تاريخ دمشق (لابن عساكر) من أخبار كتاب الربيعي . (ص ٨٣ — ٨٨) .

على أن موضع الأهمية في الإشارة إلى سبق الربيعي على ابن عساكر ،

ودراسة أزمته المؤلفين وقرّيتهم في التأليف ، لا يتصر على بيان الزمنية والمكانية والطاقة في المعرفة ، فالسابقون السابقون ، واللاحقون اللاحقون . ولذا ينبغي أن يتعمد البحث في هذه النقطة إلى تقرير ما استطاع اللاحقون من إفادة وخطوة إلى الأمام في سبيل التقدم الإنساني ، بالقياس إلى السابقين لهم . هل عمل علماء المسلمين مثلاً على تحقيق هذه الغاية المتحركة دائماً إلى الأمام ، أو أن المدرسية (الإسكولائية) التي ساروا على نهجها كبتت فيهم دوافع التقدم وأنكصتهم عن السير بتأثيرها ، مع العلم بأن التقدم سنة من السنن الكونية .

وإخراج هذا الكتاب الصغير إلى عالم المطبوعات من أفضال المجمع العلمي العربي بدمشق ، وأفضال جهود الناشر كذلك . ورحم الله شيخنا كرد علي ، صاحب الكثير من هذه الأفضال التي تنبئ بها جهود تلاميذه ، وتدل عليها مؤلفاته ومصنفاته ، منذ أوائل هذا القرن العشرين الميلادي .

أما طريقة إخراج هذا الكتاب مطبوعاً من نسخة فريدة ، فلا غبار عليها ، بعد أن ظلت هذه النسخة في ثوب المخطوطات أجيالاً ، بالظاهرة بدمشق . وهي طريقة زعيمة بانتباه المتصدين للنشر العلمي ، لأن بعض المخطوطات فريد فعلاً ، ولا توجد منه سوى نسخة واحدة ، ولا سبيل إلى نشرها إلا بهذه الطريقة ، أو شبهها . ذلك أن الناشر هنا سلط على المتن المفرد مقارنة دقيقة بتاريخ دمشق لابن عساكر ، وبكتاب فضائل دمشق للفزاري ، وأولهما مستمد من الربعي أبواباً بحالها في ثنايا كتابه الضخم ، وثانيهما ناقل منه نقلاً حرفياً كلياً ما عدا الأسانيد الحديثية . (انظر ص ١٤ ، ١٩) . ولذا جاء المتن جلياً ، كأنما استقامت للناشر أكثر من نسخة لمخطوطة الربعي ، كما جاءت الحواشي على قنر معلوم . والناشر ملتزم في الواقع ما رسمه لنفسه من التصاميم الحميد في غير هذا الكتاب ، إيثاراً منه للمتن أن يشغل دائماً معظم الصفحة ، ومعظم التفات القارئ الذي سوف يرى أن الكتاب كله واضح ، لا تثقله الحواشي ولا تبهظه الشروح (انظر المقدمة ، ص ٢٣) ، وهذا عندي أجود النشر وأحسنه .

غير أنه يبدو لي أن الناشر غلبه هذا القصد في الحواشي إلى مرتبة التقدير ،
 إذ عبر عدداً من الأسماء الجغرافية والألفاظ اللغوية دون أن يعطيها شيئاً من
 ضوئه ، ومثال ذلك الطوانة ، العمود المسفط ، الأشبان ، برزخ المثوى ،
 الخبية ، أبدالاً ، مقبرى ، قينية ، يعفور ، قعاص الغنم ، مستخص الدولة
 (ص ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٧ ، ١١٢ ، على التوالي) .
 ذلك أن القارئ يؤوده الرجوع إلى القاموس كلما تعثر بكلمة ، ويحمد
 للناشر دائماً توفير ذلك عليه بخاشية توضيحية تحفظ عليه انصرافه إلى القراءة ،
 والإفادة في غير عناء . ثم إننا بحاجة إلى تدمير الثروة اللغوية بشرح ما نجد
 من ألفاظ طيبة أضحت غريبة على الناس ، وإلى إشاعة استعمال هذه الألفاظ
 أو أوزانها أو اشتقاقاتها ، أملاً في سند ما نفتقر إليه في مدارج النهضة الحديثة
 من مصطلحات الحياة اليومية الجديدة ، بالشرق الأوسط الجديد .

أما الفهارس في هذا الكتاب فعامرة متنوعة ، وليس ينقصها إلا فهرس
 للمصطلح ، من أمثال الألفاظ التي قدمت هنا ، فضلاً عن ألفاظ مصطلح
 الحديث التي أصبحت من مصطلح التاريخ كذلك ، وهي في الملحق الثاني
 الذي كتبه الشيخ نوح نجاتي (ص ٨٩ - ١١٠) . والناشر محمود على إيراد
 هذا الملحق الثاني ، لأنه درس في علم الحديث يلند للمؤرخ قراءته ، لمعرفة
 قواعد التحديث ، وطرق التمييز في الأحاديث النبوية بين الصحيح ، والضعيف ،
 والمرفوع ، والموضوع ، والمنكر ، والمعضل ، والباطل ، وهكذا . ذلك لأن
 هذه الألفاظ الاصطلاحية هامة في تدريس مناهج البحث في التاريخ أهميتها
 في علم الحديث ، والمؤرخ الذي يستطيع أن يستخدمها في تقويم مراجعه
 وترتيبها ، ويجعل منها مسباراً لامتحان حقايقه ، هو القيمين بصناعة التاريخ
 المأمون من القارئ على مقارفتها .

وفي هذا الملحق الثاني كذلك إشارات إلى كعب الأخبار وإسرائيلياته
 (ص ١٠٩) ، وهي جديرة بتفكير القارئ العربي ، ولا سيما بعد أن خرج
 البرلمان بحثه في كعب الأخبار . (Jewish Social Studies, Vol. 5, 1953) .
 ومن الجديد على في هذا الكتاب أن عبد المطلب جد الرسول دفن بدمشق

(ص ٤٩) . وأن بنى الأصفر تسمية قديمة للدلالة على ملوك غرب أوربا والبابوية (ص ٧٨) ، وهي تسمية شرح القلقشندي أصولها في كتابه صبح الأعشى . ومن الواضح بعد هذه الإشارات إلى محتويات هذا الكتاب أن الكتب القديمة لا تزال ذخيرة دفيئة ، وما ينضج منها للقارئ الأخصائى ينفع كذلك السياسى ، والمؤرخ ، واللغوى ، والمحدث ، فضلا عن القارئ العام .

محمد مصطفى زيادة

ديسمبر ، سنة ١٩٥٣

مصر الجديدة

جزوب معين التارخ لأهل التارخ